

التفسير السيكولوجي للغة الخطاب عند الطفل

The psychological explanation of speech language of the adolescent

أ. شلابي عبد الحفيظ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

الايميل:

ملخص:

الهدف من هذا البحث هو تقديم تفسير سيكولوجي للظاهرة وأن اللغة الخاصة عند المراهق في الجزائر على غرار باقي بلدان حوض المتوسط تحمل عدة دلالات وتفسيرات من الوجهة السيكولوجية خاصة التحليلية منها التي تعتبر هذه اللغة جزء من القوى النفسية والعقلية للمراهق التي تخضع لإعادة التنظيم وهي قد تدل على هشاشة العلاقات الأولية مع المواضيع والتفاعلات مع الوالدين في الطفولة وعلامة مؤقتة لعدم التكيف الذي قد يحل حسب طبيعة العلاقات الأولية مع المواضيع وتعتبرها كدليل على اللامعيارية وضعف الذات. وقد تعبر عن سياق دفاعي وآلية من آليات الكف التي تصيب الأنا وتضعف وظيفته في خفض القلق الناتج عن الصراع بين النزوات الجنسية للهو من جهة المغذاة بفعل الغزو الثقافي الغربي الذي أبرز نماذج جديدة يتماهى معها المراهق تتمثل في المطربين، الرياضيين والفنانين وغياب الحدود في التنشئة الاجتماعية ومواصلة إشباع اللذة الطفولية وعدم القبول بمبدأ الواقع ومن جهة أخرى متطلبات الأنا الأعلى الفردي والجمعي التي جعلت المراهق نتيجة هذا الصراع ينكمش في جماعة الرفاق والتخاطب بلغة خاصة يفهمها إلا من يعيش ضمن الجماعة. كما يمكن أن تفسر بإشباع مقنع لنزوات الهو لتجنب تأنيب الأنا الأعلى والدخول في صراع مع الهو.

كما أنها ترمز إلى الحيرة التي تتميز أنا «Moi» المراهق الذي هو قلق عن مستقبله وغير مستعد للدخول في عالم الرشد بسبب الصعوبات الاقتصادية وقلة فرص العمل وبالتالي عدم إمكانية الارتباط مع شريك من الجنس الآخر.

هذه اللغة الخاصة قد تدل على عدم اقتناع المراهق بنموذج الراشد الموجود في المجتمع حتى يتماهي معه بسبب افتقاده للقوة والسلطة والمقومات المرغوب فيها وبالتالي انتهج هذه اللغة الخاصة كتعبير عن الانتقام منه رمزيا وعلى المستوى الإستهامي وبالتالي تخفيض القلق عنده والتنفس انفعاليا.

وتم التوصل إلى الكشف بأن الظاهرة رغم غرابتها قد تبقى في إطار العادي المؤقت من وجهة نظر علم النفس لهذا فالمطلوب من الأخصائيين خاصة العاملين في الحقل المرتبط بالأحداث العمل على فهم هذا الراشد الصغير والتقاط همومه بفهم لغته أولا ومحاولة تخفيض مدة الظاهرة ثانيا ثم في الأخير تسريع إدماجه في المجتمع على جميع المستويات مع إجراء إصلاح جذري في المنظومة التربوية خصوصا ترقية لغة التدريس إلى المستوى الذي يتناسب مع الطموحات المشروعة والطبيعية لهذه الشريحة الخاصة في كل شيء وبالتالي جلب اهتمامه وتلقينه المبادئ النابعة من مقومات الحضارة العربية الإسلامية المراعية لمتغيرات الزمن والمكان ومنعه من العيش في ظاهرة سلبية تفوت عنه الوقت الثمين وتجنبيه الانزلاق في أحضان حضارة غريبة عن مقومات وثوابت المجتمع وبالتالي مواصلة النمو بدون تناقض والتمتع بالصحة النفسية.

مقدمة:

تعتبر اللغة مفهوماً واسعاً، فهي ليست فقط معاني ومجاز واستخدامات وكلمات واشتقاق واتصال وإنما هي أيضاً تسهيل لتفكير الإنسان واقتصاد في الوقت عند تعامله مع غيره من البشر والمواضيع، فمركز اللغة يقع في نفس مركز الفكرة، فمثلاً في أحكام تلاوة القرآن الكريم أدخل الإدغام لحذف المثلث والتنوين لتسهيل النطق، فهي تراعي جميع العوامل لتسهيل الفهم والاستعمال داخل المجتمع لكي يكون كل ملتحم ومتجانس في تحقيق أهدافه والحفاظ على ثوابته ومقوماته، غير أن هذا الأخير أصبح حالياً وبالنسبة للكثير من المجتمعات التي منها الجزائري، عبارة عن مجموعة من الطوائف متميزة لا تسمح في بعض الأحيان بالتعرف على ثقافته وهويته خصوصاً من خلال اللغة الخاصة الشفهية والمكتوبة (الكتابة على الجدران، الكتابة على الطاولات والأدوات المدرسية برموز وحروف وطريقة خاصة.... الخ) التي ظهرت عند المراهقين بفعل غزو تكنولوجيا الاتصال من جهة ومن جهة أخرى المنظومة التربوية التي جعلت اللغة المستعملة في المدارس معقدة وبعيدة عن الواقع المعاش للغة والمجتمع والمقرر الدراسي في المدرسة والمتوسطة والثانوية البعيدين عن مستوى إدراك واهتمام الطفل والمراهق، حيث أصبحتا تلعبان دور نقيض لما أنشأتا من أجله وفضاء تعليمي يكرس تعلم هذه اللغة الخاصة بامتياز بتدخل معلم يتمثل في شخص الطفل والمراهق الذي يتقن هذه اللغة الخاصة ومتعلم يتمثل في تلميذ آخر انجذب نحوها رغم أنها لا تعكس حضارته وعقيدته وانتمائه الحضاري وغير مفهومة من الجميع وتقتصر على هذه الشريحة الشبابية التي تصبح بالتالي معزولة عن باقي المجتمع والأفراد وبالتالي فإن هذه اللغة الخاصة في هذا الوسط تنمو وتتطور كاللواء مفرزة ثقافة لغوية جديدة وقيم وسلوكيات عند شريحة المراهقين لمميزاتها التنموية والفكرية والانفعالية الطبيعية المتمثلة في الرغبة في التمرد والتغيير والحداثة والبعد عن سلطة الأب والأسرة ثم الراشد بصفة عامة والتفكير في الممكن الحدوث والمجرد والظهور المتميز والقوي في المجتمع مع ضبط اللغة والثقافة حتى تساير خاصة مع توفر الأسباب السالفة الذكر.

من خلال كل ما تقدم، ما هو التفسير السيكولوجي للغة الخاصة للمراهق المتمدرس؟

تشخيص الظاهرة اللغوية هذه من طرف المختصين في ميدان علم النفس بمختلف مدارسه (التحليل النفسي، المدرسة السلوكية، التيار المعرفي، البنائية) يخضع ويصطبغ بانتماءاتهم وتوجهاتهم وعلى العموم يمكن تقديم عدة تفسيرات حسب هذه المدارس خاصة المدرسة التحليلية التي تناولت القضية وأفاضت فيها من حيث النشأة أو

الانتشار، حيث أن هذا التيار يعطي عدة تفاسير وتأويلات للظاهرة حيث يرى بأنها تدخل ضمن النمو العام الذي يميز مرحلة المراهقة والتي تكون جزء من كل وهذا للأسباب التالية:

1- إعادة البناء وطبيعة العلاقة مع الموضوع عند المراهق:

حسب النظرية التحليلية فإن هناك إعادة تنظيم القوى النفسية والعقلية خلال المراهقة» اللغة الخاصة للمراهق مؤشر على هشاشة العلاقات الأولية مع المواضيع والتفاعلات مع الوالدين في الطفولة.

وفي هذه المرحلة العمرية يخضع لمتطلبات إعادة البناء بعدما اكتمل نضجه الفسيولوجي والجسمي والجنسي لذا فهو يجلي علامات مؤقتة لعدم التكيف في السلوك والتفكير استعدادا لدخول مرحلة عمرية جديدة واللغة تدخل ضمن هذا الإطار ويتجاوز ذلك تبعا لإيجابية العلاقات الأولية مع المواضيع (Blos, 1971 p282).

كما يرى Guilleminot أن هذه اللغة الخاصة يمكن أن تعبر عن سياق دفاعي وآلية الكف التي تصيب الأنا وتضعف وظيفته في جعل المراهق متكيف مع الواقع الموضوعي والخروج من الطفولة وتأكيد ذات مقبلة على الدخول في مستقبل مجهول يحدث قلقا عنده (تأسيس بيت، الاستقلالية المادية، إيجاد شريك حياة). وهذه اللغة مؤشر على فشل الأنا في التفاوض مع هذا القلق الذي من تجلياته التوقع في جماعة الرفاق وضعف الاستثمار الفكري لهذه الوظيفة وانخفاض في إنتاج التصورات إلى جانب الوظائف الأخرى (السلوك الحركي، قدرات الذاكرة، التركيز والانتباه، الإبداع، التجريد...) ونوع من صعوبة التنظيم النفسي "والمشكل المطروح هو شدة ووتيرة ومدة استعمال هذه اللغة الخاصة فإذا كانت بسيطة فإنها قد تكون عابرة ومؤشر عن وظيفة الوقاية من القلق وأما إذا زادت فهي (Guilleminot, 1989 P129) مؤشر ودلالة عن فقر في الطاقة ورغبة لا واعية في عدم الدخول في مرحلة الرشد تجعل المراهق يبدي سلوكيات نكوصية ورفض الأنا في بذل مجهود جديد في الكبت وتجنب الصراع مع الهو الذي هو مصدر تدفق النزوات التي فشل الأنا في رقابتها ولجأ إلى الكف بعد تدخل مبدأ الواقع منها وتحقيق أمن داخلي يسبب الفقر في الواقع النفسي الداخلي وبالتالي قطع الاتصال الذي تخلقه محققة بذلك مسافة بين الفرد والموضوع الذي هو كل ما يقع خارج مجموعة الرفاق وتراجع عن طريق توقف للوقت المعاش.

2- التفكير والنشاط النفسي عند المراهق

هذه اللغة الخاصة هي عبارة عن كف فكري حيث أن الأفكار تفتقر إلى الوضوح ولا تكون ملائمة والخطاب المنتج يرمي إلى الإعراب عن تفكير مقلص في حدود جماعة الرفاق وعرقلة تلقائية للتفكير بهذا النشاط العارض المانع خاصة وأن اللغة هي أحد الموارد المثيرة لنمو ذكاء الفرد وقاموسه المفهوماتي.

هذه اللغة الخاصة مؤشر عن وجود علاقة بين التفكير والنزوات فشل الأنا في تحقيقها وإشباعها وكما تقول نادية شرادي " الكف الفكري ارتباط رمزي بين الفعل الفكري والفعل ذو الهدف الجنسي قام الأنا بعزل نفسه عن المصادر النزوية وحماية نفسه من تأنيب الأنا الأعلى له وتجنب الصراع معه " خاصة وأن المجتمع بالثقافة والتقاليد السائدة المكونة له تمنع من تحقيق إشباع هذه النزوات الملذاتية للهو التي هي نتاج تراكمات تشعبت مصادرها (الغزو الثقافي والفكر الغربي، غياب رسم الحدود في التنشئة الاجتماعية، مواصلة إشباع اللذة الطفولية) وبالتالي أنا المراهق وجد نفسه في تناقض وجداني فمن جهة متطلبات الهو الذي يحمل مكونات نقيضة للأول وبالتالي تم اللجوء إلى هذه اللغة الخاصة للفرار من هذا التناقض وتجنب الصراع والقلق حتى يعيش همومه ضمن مجموعة تقاسمه نفس الشعور، إذا هذه اللغة الخاصة عبارة عن وضعية تأقلم للأنا لتجنب الصراع الواقع بين الأنا الأعلى والهو. (شرادي، 2011 ص 258).

أو كاحتمال آخر هذه اللغة إشباع مقنع لنزوات الهو بلغة خاصة غير مفهومة من المجتمع لتجنب تأنيب الأنا الأعلى الفردي والجماعي وبالتالي هي تقوم مقام آلية الكف تجنب الدخول في صراع مع الهو والأنا الأعلى.

3- المحيط الخارجي والانفصال وأثرهما على المراهق:

إن الصعوبات الاقتصادية وقلة فرص العمل والتفكير في الارتباط الجنسي الدائم بشريك من الجنس الآخر الذي قد لا يتحقق لأن العرف في المجتمع لتحقيق هذا القران هو الزواج الذي يستدعي استقلالية مادية عن الوالدين والخروج من عالم اللذة الطفولي والإقبال في الدخول في حياة الراشد وتحمل المسؤولية وبما أن المراهق يدرك صعوبة هذا الارتباط جعلته يتوقع الخطر ويشعر بالقلق الذي يعبر عنه بهذه اللغة الخاصة التي تكون بمثابة إشارة تنذر بأن حالة الخطر المتوقع مقبلة حتى يستعد الأنا لمواجهة هذه اللغة يحاول الأنا أن يدافع عن نفسه ضد الخطر الداخلي المتمثل في المطلب الغريزي خاصة أن الجهاز التناسلي للمراهق اكتمل وأصبح يماثل الراشد ولكن

المراهق في حيرة في كيفية استعماله والخطر الخارجي ضد الأسباب الموضوعية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية خاصة.

هذه اللغة الخاصة هي جزء من كل اتخذ هذا المظهر والرمز نظرا للظروف السياقية الحالية المعاشة (الزمان والمكان) التي تميز الحياة العصرية وطغيان عالم الحاسوب والرقمنة والأزياء وتساعد أسلوب استخدام القوة في كل شيء بين الأفراد وبين الدول وماهي إلا رمز معبر عن قلق من مصدر أصلي متكون من الحالات الوجدانية الراسخة في العقل تركتها الخبرات الصادمة التي تعرض لها سابقا وتظهر مرة أخرى كرموز متعلقة بالذاكرة عندما يواجه الفرد حالة مشابهة لها ومن هذه التجارب السابقة الصدمة الانفصال عن الأم، الفطام، الدخول للمدرسة والانفصال عن الأسرة وهذه المرة الانفصال عن المراهقة والاستعداد للدخول في عالم الرشد.

فعند كل انفصال يحدث قلق يتم التعبير عنه بطريقة خاصة فعند الميلاد بالصراخ وعند الفطام بالنكوص وعند الدخول إلى المدرسة بالرفض وعدم التكيف وعند الخروج من الطفولة إلى المراهقة أو الخروج من المراهقة إلى الرشد باتخاذ أساليب ومواقف مواجهة منها هذه اللغة الخاصة " فكل انفصال إذا يحیی القلق المتعلق بالانفصال عن الأم عند الميلاد " على قول (Freud,1981,p57)

4- التعبير عن القلق بواسطة اللغة بدلالات مختلفة:

كحوصلة لما تقدم فإن المراهق بتبنيه لهذه اللغة الخاصة يعبر عن مدى القلق الذي يشعر به على مستوى عميق من شخصيته لأنه مضطر لاتخاذ قرار الانتقال من المراهقة إلى الرشد الذي يثير قلقا لأننا لأنها مرحلة جديدة لم تكتشف ولم تستثمر بعد وبالتالي فهو حائر، إما البقاء في عالم المراهقة قريب من الطفولة بعدما عاش تجربة الحداد بانتقاله إلى المراهقة التي هي ضرورية للنمو بمختلف جوانبه النفسية والعقلية والاجتماعية، أو العبور إلى عالم الراشدين وما يحمل من مسؤوليات، وهذه اللغة الخاصة ميكانيزم خاص تكيفي ولغة تخاطب لا يفهمها إلا من يشعر بنفس الإحساس لهذا المراهق وهو نوع من التوقع على الذات ضمن جماعة الرفاق ومؤشر على خوف من عالم مجهول مقبل عليه (الخوف من الانفصال وفقدان المركز العائلي وتلبية حاجياته من الآخر) وإحياء جديد للصراع النفسي "وكذلك هي جزء من الحل للصراع اللاشعوري ورغبة لاشعورية في عقاب الذات التي تستثمر مشاعر اتجاه الوالد من الجنس المخالف في العلاقة الأوديبيية" كما يرى (Danon,1984p87) وكذلك هذه اللغة الخاصة تعبير عن عدم وجود نموذج مثالي من الراشد متصور في المجتمع الذي يعيش فيه

المراهق لكي يتماهى معه نظرا للاختلاف الحاصل بين الجيلين في الثقافة والتقاليد والغزو الفكري الذي جعل المراهق في كوكب خاص غريب عن المجتمع وبالتالي فهذه اللغة الخاصة هي مؤشر ورمز وإشارة إنذار يحمل أكثر من دلالة على المختصين في مختلف

الميادين تشفيره والعمل على فهم هذا الراشد الصغير لأنها مؤقتة وتتحكم في مرحلة عمرية مهمة له حيثكما تقول (Marie,2004,p24) " أنه من أجل إرساء شخصيته فإن أنه (Son Moi) يكتمل بسلسلة من التماهيات متلاحقة لتفرد وبعد ما كان الأب في الطفولة هو النموذج فإن المراهق تجاوزه وأصبح يبحث عن نماذج تمثلاته وحياله الواسع: نجوم غناء ورياضة، أصدقاء يفوقونه سنا والمعلمين والمربين الموجودون في محيطه لتعويض الصورة الأبوية مع طلب عاطفي قوي حيث إن التماهي مع نماذج أخرى غير الأبوية هو ضروري وبناء في تكوين الشخصية وبالتخلي فيما بعد عن النماذج المختارة هذه يكتسب الفرد تفرد الخاص به" وعندما يتجاوز كل هذا فإن المراهق في نفس الوقت يشبع حاجة الإثارة والدخول في نزاع وكذا الحاجة إلى إبقاء الاتصال والحفاظ على العلاقة التي تربطه بوالديه فصعوبة الانفصال عن الوالدين والتفرد تفسر مواقفه التناقضية، إنه يطالب بصخب باستقلاليته وفي نفس الوقت يتصرف كطفل صغير يبحث عن المواساة الأمومية والعائلية وعيه فإن هذه اللغة الخاصة من الجانب النفسي ماهي إلا تعبير عن هذه المعاناة المرحلية وكذلك صعوبة التمدرس والخوف من المستقبل والوضعية التناقضية إذا تواجدت بقوة فإن الطفل يرفض التعلم في المدرسة وهذا بطريقتين الأولى الظهور بعدوانية والتمرد ضد المعلم وهنا يتبنى كل شيء يرمز إلى هذه الوضعية وهذه اللغة الخاصة قد تؤدي الغرض بامتياز والطريقة الثانية التعلم مع خضوع كبير والبحث عن التصالح مع المعلم فيكل الأحوال وهذا يمنع الدخول في الاستقلالية شرط التعلم الحقيقي ورغم هذا فإن خطر العدوى قائم وقد يدخله في الظاهرة أيضا لهشاشة شخصيته وسرعة تأثره بالآخر.

وأیضا هذه اللغة الخاصة تؤكد دائما ما ذهب إليه علماء التحليل النفسي باعتبار المراهقة خاصة عند الذكور هي نكوص خاصة فيما تعلق باللعب بالكلمات والمزاح الدعاري والبحث عن الوضعيات الجماعية التي تؤمنهم وبالتالي الجهد المبذول من المراهق للابتعاد عن الآباء هو الانشغال الأكبر والبحث عن علاقات جديدة التي تأخذ شكل صداقة متينة مع تجنب الجنس الآخر لعدم البحث عن التكامل الذي يميز الدخول في المراهقة.

وهذه اللغة الخاصة نوع من إخفاء هشاشة ونوعية الإحساسات والمشاعر والأفكار وتبادل الآراء وإنجاز المشاريع في عالم الخيال والممكن مع تغلب التجريد والتفكير الافتراضي الإستنتاجي حيث مع اكتساب هذه القدرات

يصبح عند المراهق خداع القوة الذي تناقضه محدودية الإنجازات الملموسة وعليه ينسحب عاطفياً وبصفة مزدوجة ويخفي القلق والكف الذي يثيره فقر المواضيع ومن أجل المقاومة يستعمل إمكانياته الجديدة في التفكير واللجوء إلى الإعلاء العلمي وتقوية الأنا المثالي مع تحول الهو مع استعمال هذه اللغة الخاصة وبصفة متطرفة يأخذ تدابير قمعية ضد نفسه ويلجأ إلى الرهينة (العزلة).

وكذلك فإن الصعوبات والتقلبات الاقتصادية والاجتماعية وكثرة الطلاق أدى إلى فقدان العائلة توازنها وجعلت الوالدين لا يعطون الاهتمام لأولادهم ويعانون من ضيق مادي واتهام الذات، الدونية، عدم الجاهزية للأبناء وعدم متابعتهم تربوياً ومدرسياً وأصبحوا يفضلون الدور العاطفي على حساب الدور التربوي لأبنائهم حيث لا يسمون لهم الحدود في التنشئة والشروط لتجنب النزاع معهم وغياب هذه الضوابط خارج المدرسة التي من جهتها كما أشرنا سابقاً تستعمل لغة معقدة منفرة تقوي الشعور عند المراهقين بالقوة المطلقة الذي أفرز هذا السلوك اللغوي الغريب عند فئة من جهة وفئة أخرى لجأت إلى المخدرات وتلك إلى التدين الشديد بعيداً عن المذهب الذي يحكم المجتمع وكأن هذه الطوائف أصبحت لا تنتمي إلى هذا المجتمع وتريد الانتقام منه خاصة بعدم استعمال اللغة التي يفهمها وبالتالي مخالفة قوانينه وحدوده وعدم الالتزام بقواعده وأعرافه وإعطاء التعبير لبدائل متمثلة في لغة الجسد والأزياء واقتراؤها مع هذه اللغة الشفهية الخاصة التي ترمز إلى عدم وجود نماذج من الراشد تملك القوة والسلطة والمقومات والمواصفات المرغوب فيها جديدة بأن يتماهى معها هذا المراهق.

وبالتالي من أجل استكمال بناء شخصيته أصبح يتماهى مع نماذج غذاها الإعلام الغربي وحققها في المجتمع الأصيل. إنه يبحث عن " الآخر " الوحيد الذي يقبله ويعترف به كما هو.

5- اللغة كتعبير عن النمو:

صورة جسم المراهق تتغير بفعل النمو الجسدي، الفسيولوجي، النفسي، الاجتماعي الذي يتسم بالانفعال، الشدة، الانطباع الغريب، القلق، المقارنة مع الآخرين حيث أنه يبحث عن ذاته من خلال الآخرين ويعطي أهمية كبيرة للصورة الجمالية للجسد التي يرتبط بها بالمجتمع وتشكل له صعوبة في التكيف الاجتماعي، وزيادة القوة عنده تجعله يكتسب ثقة لدرجة الغرور وتوسع ويقارن ذاته بالراشد خاصة وهذا الشعور بالقوة يعطي تأكيد ذاتي عنيف عند البعض من المراهقين والفوارق الناتجة عن المقارنة مع النموذج الغالب للبعض الآخر تكون لها عواقب تولد الدونية وسلوك التقليد للبقاء في المجموعة، هذا ما جعل الظاهرة تقوى وتنتشر، فهذه

اللغة الخاصة هي نقطة فصل بين عالمين مختلفين، عالم الواقع للراشد وعالم الأحلام للمراهق وهي مؤشر على وجود مخاوف وقلق لم يستطع البوح بها للوالدين بل يستعملها كقناة تواصلية مع الأقران الذين يقاسمونهم نفس المعاش النفسي وتستجيب لهوامه وحاجاته وبما يبحث عن استثمار عاطفي صريح مع الرفاق ويحقق هويته من خلال هذا الآخر الذي يشبهه وينصت إلى تطلعاته المستقبلية البعيدة عن الواقع، وهذه اللغة الخاصة معبرة عن خصوصية المرحلة، الإخفاق الدراسي، عدم التحكم المزاجي، عدم القدرة على ضبط الذات واحترام الحدود مثل الضحك الصاخب، المعارضة، الغضب، التيهان الطويل مع خطر الجنوح، العمل المجاني، التضحية مع إبقاء هذه اللغة الخاصة عنده لفترة زمنية طويلة تعقد من وضعيته وتجعله يصطدم مع غيره من الفئات العمرية الأخرى التي لا يمكنها التقاط هوموم باعتبار أن القناة التواصلية المستعملة عنده خاصة غير مفهومة ومشبعة بالرموز يطول الوقت من أجل تشفيرها وبالتالي تفوت على هذا الكائن وقتا ثميناً من عمره وتقلل من قدراته واستعداداته وتجعله يصاب بالإحباط لعدم تلبية رغبته وقد يصاب بالمرض النفسي والعضوي الذي يكون آخر معقل يلتجأ إليه بعدما كان في وضعية حرجة صعبة ومرحلة طبيعية من النمو يجب عبورها وتجاوزها بمساعدة الراشد الذي يفهمه ولا يحاكمه.

6- اللامعيارية وضعف الذات:

إن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه يعيش في جماعته يؤثر فيها ويتأثر بها وتقوم هذه الجماعة بتحديد معايير سلوكه وكيفية تخاطبه من خلال ما يسمى بالمواظبة الاجتماعية ورسم الحدود التي يجب أن يكون سلوكه في إطارها، فكلما عاش الفرد في جماعة تشكل ضغوط واستنكار وعدم الاختيار الاجتماعي في توزيع الأدوار والمسؤوليات والمقاطعة والعزلة والرفض الاجتماعي للأفراد الذين يخالفون المعايير الاجتماعية كلما كان أفرادها أكثر تضامناً ونظاماً، وكلما ضعفت هذه الضغوط الموجهة للأفراد المخالفين للمعايير الاجتماعية كلما وصلت الجماعة إلى حالة من الانعدام في النظام والأخلاق والتضامن وعدم التجانس وهذا ما يسمى باللامعيارية أي الخروج عن النموذج الذي يحكم المجتمع ويسيره والملاحظ مؤخرًا هو ظهور شريحة شبانية من المراهقين في المجتمع غير متوافقة مع المعايير الاجتماعية فيما يخص اللغة وهذا بتبني لغة تواصل خاصة غير مفهومة تنحرف عن لغة المجتمع وتتخذ عدة أشكال (كتابات ورسومات على الجدران في الشوارع والمدارس والأماكن العمومية، الطاولات والأدوات المدرسية في المدارس) والسبب هو الجهل بالمعايير الاجتماعية وعدم فهمها الفهم الصحيح الذي يعتمد على الوسطية دون إفراط أو تفريط وكذا عامل احتقار الذات أو التقدير الزائد لها وفي كل هذا تتحمل

الأسرة جزء من المسؤولية باعتبارها المدرسة الأولى في عملية التنشئة الاجتماعية وتلقين المعايير الاجتماعية للطفل وإكسابه مفهوم الذات في ظل ثوابت المجتمع ثم هناك المدرسة التي كما سبق ذكره أصبحت تركز الظاهرة بدل محوها وهذا ما يشير إليه المختصون في علم النفس في تفسيرهم للمرحلة الثالثة من مراحل تكوين الذات أي مرحلة الانعكاس الراجح الغادي التي ينبعث فيها الإحساس الذاتي للطفل من لقاء الضوء على الأشخاص الذين غالبا هم أفراد الأسرة وبعد ذلك يحدث أخذ وعطاء بين الفرد وبني جنسه وهذه المرحلة تسمى منطق النمو الشخصي وخلال ذلك تتأثر الذات إلى حد كبير بأشخاص العالم الخارجي عن طريق المحاكاة وهذه النماذج التي يحاكيها الطفل تفرض بعض القيود على حرية تصرفاته التي تكون خاضعة لبعض قيم السلوك وبما أنه في المجتمع بفضل الغزو الفكري تتواجد نماذج من المغنيين، الرياضيين، نجوم الفن غريبة عن المجتمع الأصلي في كل شيء (اللباس، النظرة للذات، مفهوم النجاح، اللغة.... الخ) وعليه يقوم الطفل والمراهق بنقل داخل نفسيهما جزء من هذه السلوكات والقيم وخاصة أنه خلال هذه المرحلة من النمو يتكون الضمير داخل الذات بفضل التأثيرات الاجتماعية والخلقية الخارجية يطالبها بالخضوع له.

وهذا الضمير هو الذي تمثل المعايير الاجتماعية إذ أن الطفل يتعلم من الأشخاص الذين يحاكيهم أو يقلد فيهم القيم كانت ممدوحة أو مذمومة لدى الجماعة والمجتمع وإذا فالظاهرة في ظل هذه الظروف تنشأ وتتطور بفعل عامل التعلم لها من طرف الطفل بما أنها موجودة في المجتمع وتشكل مصدر مثيرات قوية وعليه بعامل الاستجابة تقوى وتتوسع.

وقد ذكر الصيرفي " أن انخفاض مستوى الانطباع الذاتي لدى الأفراد من العوامل المهمة التي تدفع إلى الانحراف عن المعيار، فالشعور بالنقص والدونية في بعض جوانب الشخصية لدى الشباب. (الصيرفي، عبد الله عبد الغني، 1996ص14).

7- دور التنشئة الاجتماعية في توسع الظاهرة:

إن الانحراف اللغوي عند الشباب يرجع إلى فشل التنشئة الاجتماعية وإخفاق الأسرة في التربية وتلقين الناشئة المبادئ التي يسير عليها المجتمع السليم في ظل ثوابته لأسباب اجتماعية واقتصادية وثقافية. "ينجم عن كل هذا اضطراب في سمات الشخصية عند الشباب التي تتضح في زيادة مشاعر التوتر الداخلي والخوف والقلق عند الحدث مما يدفع به إلى الانحراف نتيجة عدم دعم الأسرة له في مرحلة الطفولة خاصة وعدم تزويده بالاتجاهات

والقيم التي تكون ملامح شخصيته في المستقبل والتي تتباين من أسرة لأخرى بتباين المستوى الثقافي والاقتصادي والاجتماعي وكذلك بأساليب المعاملة الوالدية والتدليل المفرط أو القسوة الزائدة تؤثر على السمات الشخصي للأبناء وغالبا ما تدفعهم للانحراف في مجال الثبات الانفعالي، السيطرة والتخيل، كفاية الذات والحدث يعاني من اضطراب حاد في الوعي والإدراك ويعجز عن تقدير عواقب الأمور عند ارتكاب السلوك المنحرف خاصة في ظل التحولات الاجتماعية والاقتصادية السريعة التي أثرت في نمط التفكير عند أفراد المجتمع وتأثر بالثقافة الخارجية نتيجة الانفتاح على العالم الخارجي وتجلى هذا في اللغة الخاصة عند المراهقين لنقصهم الخبرة والتجربة وكذلك لطبيعة مرحلة نموهم" ويرى نجاتي(نجاتي، محمد عثمان، 1987 ص 326) أن مفهوم الذات يتكون أساسا عند الطفل من التفاعل المستمر بينه وبين بيئته وخاصة الوالدين والأفراد المحيطين به، فمن أحكامهم التقويمية لأفعاله ومن ثوابهم وعقابهم يتكون مفهوم الذات عند الطفل أو فكرته عن نفسه وعليه تتحدد شخصيته ثم كيفية إدراك الفرد لبيئته وكيفية التعامل معها ومعظم أساليب السلوك تكون متسقة مع مفهوم الفرد لذاته وكل خبرة جديدة للفرد لا تتفق مع ذاته تعتبر تهديدا لذاته فيلجأ إلى إنكارها أو تشويهها بحيث يمكن قبولها وكلما كانت خبرات الفرد متلائمة ومتفقة مع فكرته عن ذاته كان متوافقا أما لو أنكرها أو قام بتشويهها فإنه يشعر بالقلق والاضطراب النفسي " كما يحدث في هذه الظاهرة اللغوية.

ويقول فرويد " أن الجهاز النفسي يتكون فرضيا من الهو والأنا والأنا الأعلى، فالهو هو المكون البدائي للشخصية التي تكون عند ولادة الإنسان قبل تدخل عامل التنشئة الاجتماعية وهو لاشعوري لا يرتبط ويخضع لمبدأ الواقع وهو لا شخصي ولاإرادي وبعيد عن المعايير والقيم الاجتماعية وتحكمه مبدأ اللذة والألم وبالتالي يندفع إلى إشباع دوافعه بأي طريقة والأنا الأعلى هو مستودع القيم والمعايير الاجتماعية يتكون بد تكون الأنا الذي يأتي بعد الهو وتدخل التنشئة الوالدية التي تملأ مكون الأنا الأعلى حتى يلعب دوره في نمو الفرد النفسي ويبقى منسجم مع مجتمعه أما الأنا فهو مركز الإدراك والشعور الداخلي والخارجي وهو حلقة الوصل والتوازن بين الهو والأنا الأعلى ومن واجبه تحقيق قيم الذات والتوافق الاجتماعي وينمو عن طريق الخبرات التربوية التي تعرض لها الفرد من الطفولة إلى الرشد وظهور هذه اللغة الخاصة مؤشرا على أن صاحبها نشأ في بيئة اجتماعية غير منظمة لم تقم بدورها الكامل في عملية التوازن بين الهو والأنا الأعلى وبالتالي طغى الهو على الأنا الأعلى الفارغ بفعل هذا الانسحاب في التنشئة بداية من الأسرة ومرورا بالمدسة والمجتمع ككل بمختلف مؤسساته ووجود زخم من النماذج في المجتمع غريبة عن ثوابته وكذلك دور وسائل الإعلام داخل البيت (التلفاز، الحاسوب والانترنت) جعل الفرد في اضطراب وفوضى لا معيارية مما أدى إلى الانحراف السلوكي تنصده اللغة كوسيلة تخاطب واتصال

خاصة مشبعة بالرموز أي أن الحياة اللامعيارية التي يعيش فيها المراهق والتي تكون فيها الأنا هي العامل المؤثر في انحرافه السلوكي وبالتالي هذا الانحراف ناتج عن ضغوط اجتماعية ونفسية عند هذه الشريحة التي تتسم باللامعيارية وضعف الذات أشرت لظهور هذا الانحراف في اللغة وبالتالي فهو تحصيل حاصل ويجب معالجة الظاهرة إذا في جذورها (البيت، المدرسة، البرامج الإعلامية) (زهران، 1978 ص16).

في الأخير تجدر الإشارة أن علماء النفس غير التحليليين أيضا قد أعطوا تفسيراً لتوسع الظاهرة فحسب الطريقة البنائية فإن الفرد يتعلم هذه اللغة الخاصة بالتكيف (المواءمة) مع المحيط وبالتأثير في هذا العالم اللغوي يتعلم أيضا رموزها والطفل والمراهق بما أن لهما وتيرة نمو وقدرة خاصة يتعلمانها، ويتم تعلم هذه اللغة الخاصة ابتداء من مرحلة العمليات الملموسة أي منذ الطفولة المبكرة إلى غاية الدخول في المراهقة والنموذج الاجتماعي البنائي حسب نظرية فبقوتسكي يعطي الأهمية في تعلم هذه اللغة الخاصة للعناصر الثقافية ودور التفاعلات مع محيط هذه اللغة واكتساب هذه اللغة مع المعارف المرتبطة بها يمر بتفاعل الفرد ووضعية التعلم والعناصر الفعالة للوضعية والتفاعلات الاجتماعية بين التلاميذ يساعد في توسع تعلم هذه اللغة.

8- العلاج المنصوح به:

من أجل تسهيل اندماج هذا المراهق في المجتمع من جديد يجب أولاً فهم هذه اللغة الخاصة لفهم انشغالات أصحابها ومساعدتهم على الاندماج الاجتماعي وتوفير الجو الملائم لتحقيق هذا لكي يتمكن المراهق من مواصلة نموه والخروج من الأزمة العمرية الطبيعية وتحدياتها التي هي عابرة وهذا أولاً بإعطاء نماذج جديدة بأن تجعل المراهق يتماهى معها ويتقمصها مثل الأستاذ في المحيط المدرسي وخاصة على مستوى لغة التدريس التي يجب أن تكون راقية وغير معقدة تجذب المتعلم إليها ولا تنفره وإجراء إصلاح في البرامج الدراسية حتى تستجيب لمتطلبات المرحلة العمرية وتعطي الأولوية لنوع التفكير الذي يميز المراهق (المنطق الصوري والبحث عن النماذج التي يتماهى معها والتحرر من الملموس والمعاش والممكن الذي هو معنى الواقع، التغيير في العلاقات والاهتمامات والبحث عن هوية الذات، النقد، التشكيك في الوالدين، الحلم مع الشعور بعدم الأمن، عدم التسليم بالعلاقات مع الآخرين، الرجوع إلى الاستدلال الاستفهامي، الشعور بضرورة التأثير في العالم والآخرين، إعطاء معنى للحياة وبفكره الجديد ينتقد المجتمع، المحيط المثالية وهذا على مستوى كل النقاط الضعيفة من النظام الاجتماعي الذي تكرسه في هذا المقام اللغة التدريسية الهشة) وكذلك خصوصياته النمائية (الاستقلالية بعد التبعية، المرور من التمرکز حول الذات إلى مجموعة الرفاق، من الجسم إلى اللعبة، من اللعب إلى العمل، من القواعد العائلية إلى

القواعد الاجتماعية والأحلام تصبح كافية وغنية لكي يهرب من الواقع والعيش ضمن الرفاق بأحلام وأهداف ولغة خاصة ومخططات معرفية، استيعابية وعلائقية تصعب من تكيفه خاصة وأنه يعتبر قيم المجتمع متجاوزة لا تواكب العصر) وثانيا توفير الجو المناسب في المجتمع (الحياة المهنية والحياة العاطفية) التي تجعل المراهق يبذل الجهد ولا يعيش الواقع استهمايا بل يندمج في هذا الواقع ويستثمره جيدا حتى يدخل في عالم الرشد وهو مزود بسلح المعرفة والعلم والقوة الروحية التي تمكنه من تحقيق النجاح والتكيف وألفة وتجنب الفشل المحضر والمهيا المرغوب فيه لا شعوريا المدمج في إطار الكف الفكري والهروب من المواجهة المتناقضة لمطالب الهو والأنا الأعلى والوقوع في العيش على هامش المجتمع كمتفرج غير فعال والعمل المنشود يتم على جميع المستويات لتحقيق:

- التفرد بالاستقلال التدريجي من العائلة دون هروب إلى مجموعة الرفاق
- الضبط وإحداث التوازن بين مختلف النزوات البيولوجية ومراقبة الرغبات الجنسية والعدوانية
- الإدماج بتوحيد مختلف الميول الجزئية المتناقضة بعض الأحيان في كل منسجم
- إكتساب الهوية ومعنى في الوجود في إطار ثوابت المجتمع بما فيها اللغة والتواصل
- الخروج من مظاهر الطفولة وتعويضها بالنشاط والحيوية والإكتساب المعرفي.

خاتمة:

هذه اللغة الخاصة عند المراهق هي طبيعية في ظل المتغيرات الحالية (الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، التربوية، التعليمية.... الخ) وكذلك بسبب الخصوصية التنموية للمراهق على المستوى الفكري، الانفعالي، العاطفي، النفسي، الفسيولوجي).

وعليه يجب عدم تحويل المسألة والتعامل مع هذا الراشد الصغير بكل احترافية ومسؤولية بعيدا عن كل محاكمة أو إنقاص لذاته من أجل ضمه إلى المجتمع والاستفادة من طاقاته مع إجراء الإصلاحات والترميمات التي يفرضها وهذا على مستوى المقررات المدرسية خاصة فيما يخص اللغة المستعملة التي يجب أن تكون في حدود إدراك وقدرة المتعلم ويجب أيضا ترقية وسائل الإعلام التي يجب أن تحترم ثوابت المجتمع وتقدم النماذج الصالحة المتفوقة في العلم وذات الأخلاق الراقية حتى يتماهى معها الأطفال والمراهقون وتحسيس الأولياء بتنشئة أبنائهم على الصالح العام مع رسم الحدود لهم حتى يشبوا متزني الشخصية .

وعليه أصبحت اللغة مرتبطة بوسائل الاعلام التكنولوجية الحديثة، التي لها دور فعال في بناء العمليات المعرفية اللغوية التي تتحكم في بناء هوية الفرد.

قائمة المراجع:

1. الحربي، بندر بن ساعد، (2000)، علاقة بعض أساليب المعاملة الوالدية ببعض سمات الشخصية للأبناء من طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
2. الصيرفي، عبد الله عبد الغني، (1996)، التنبؤ بانحراف الأحداث من خلال الأسرة وأساليب المعاملة الوالدية ومفهوم الذات بالمملكة العربية السعودية، وزارة الداخلية، مركز أبحاث مكافحة الجريمة.
3. ميموني، بدره معتصم، (2011)، الاضطرابات النفسية والعقلية عند الطفل والمراهق، ط 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
4. نجاتي، محمد عثمان، (1987)، علم النفس في حياتنا اليومية، دار التعلم، الكويت.
5. نادية شرادي، (2011)، التكيف المدرسي للطفل والمراهق على ضوء التنظيم العقلي، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
6. زهران، حامد عبد السلام، (1976)، الصحة النفسية والعلاج النفسي، ط 2، عالم الكتب، القاهرة.
7. Blos, P, (1971), les adolescents, essai de psychanalyse, 1ere éd, Paris, Stock,.
8. Danon-Boileau, H, (1984), les études et l'échec, de l'adolescence à l'âge adulte, Paris, Payot.
9. Freud, S, (1981), Inhibition, Symptôme et angoisse, 7 éme éd, P.U.F, Paris.
10. Guilleminot, D et Crombez, Y, (1989), l'enfant inhibé, 1ère éd, P.U.F, Paris.
11. Marie, G. Thérèse Auger, Christiane, Boucharlat, (2004), Elèves «difficiles» profs en difficulté, 5ème éd, Imprimerie des monts du lyonnais, Lyon.